٣١

قافية الجيم

وقال على قافية الجيم يمدح أبا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته بالخُرَّمية :

١ فَلا شَنَباً يَهْوَى ولاَ فَلَجَا
ولاَ احورَارًا يُرَاعِيهِ ولاَ دَعَجَا

الأول من البسيط والقافية متراكب .

[ع] « الدَّعَج » سواد العين ، وليلة دَعْجاء مُظلِمة . و « الفَلَج » أراد به تَفلُّجَ الأسنان ، وقلما يقولون ثغر أفلج ، وإنما يقولون مُفَلَّج . و « الاحورار » من قولهم احْوَرَّتِ العينُ إذا صارت حَوْراء .

٢ كُفِّى فقَدْ فَرَّجَتْ عنْهُ عَزِيمَتُهُ
ذَاكِ الوُلُوعَ وذَاك الشَّوْقَ فانْفرَجَا

وَصَف مَا وصفَ مِن حُسْن مَن شَبَّبَ به فى أوّل البيت ، ثم أقبل على عاذلته فقال : كُفِّى عن مَلامِك وتوبيخك ، فقد ألهاه عَمَّن تلومينه عزيمتُه على السلوّ عنه ، وكشَفَتْ ما به من الغرام والعِشق فانفرج ، أى انكشفَ وذَهَب[1] .

٣ كانَتْ حَوَادِثُ فى مُوقَانَ مَا تَرَكَتْ
لِلْخُرَّمِيَّـــةِ لاَ رَأْساً ولاَ ثَبَجَا

تَرك ما تَقدَّم وأخذ فى وصف ما حَدَث فى مُوقان . و « الثَّبَج » الظهر ، وثَبَجُ كلِّ شىء مُعظَمُه . وإنما يريد أنهم استؤصِلوا . [ع] و « الخُرَّمية » الذين

(١) بعد أن أورد ابن المستوفى هذا الشرح منسوباً للخطيب التبريزى قال عقبه : وهذا قول الخارزنجى بلفظه إلا ألفاظاً زادها لا حاجة إليها .

لا يُراعون دينًا ولا يحظرون على أنفسهم شيئًا مما حَظَرَه الشَّرْعُ * ويقال : عَيْش خُرُّم أى واسع ، ويجوز أن تكون الكلمة غير عربية فى الأصل .

٤ تَهَضَّمَتْ كُلَّ قَرْمٍ[1] كانَ مُهْتَضِماً
وفَتَّحَتْ كُلَّ بَابٍ كانَ مُرْتَتِجَا

[مرتتجا] مُنغلقا ، أرتجتُ الباب فارتتج .

٥ أَبلِغْ مُحَمَّدًا المُلْقِى كَلاكِلَهُ
بِأَرْضِ خُشَّ أَمَامَ القَوْمِ[2] قد لُبِجَا

[ع] جَمَعَ الكَلْكل ، والتوحيدُ لو أمكن أحسن ، ولكن مثل ذلك يُحتَمل ، لأنّ كلَّ جزء من الكَلْكل يجوز أن يُسمَّى كَلْكلا ، ولا يمتنع أن يُريد بالكلاكل [ها هنا] كلاكلَ أصحابه ، لأنه إذا ألقَى كَلْكله فلا بدّ أن يتَشبَّه به قوم منهم ، ولا يبعد أن يعنى بالكلاكل صَدْرَه وغيرَه من الثَّقْل ، لأنه سائغ أن يقال : ألقَتْ عليهم الحربُ كَلْكلَها ، وألقى عليهم الشرّ كَلْكلَه . وقوله « قد لُبِجَا » من قولهم لُبِجَ بالرجل إذا ألقَى نفسَه إلى الأرض من تعب أو مرض . وأصحابُ الأخبار يزعمون أن محمد بن يوسف فى هذه الحرب أوقد العدوّ فى طريقه نارًا وكان طريقًا ضيِّقًا يريدون أن يَصدّوه بذلك ، وأنه رَمَى بنفسه على النار ولَبِس ثِيابَ النفّاطين على الحديد .

٦ مَا سَرَّ قَوْمَكَ أَنْ تَبْقَى لهُمْ أَبدًا
وأَنَّ غَيْرَكَ كانَ اسْتَنْزَلَ[3] الكَذَجَا

[ع] يعنى : « الكَذَج » مَوْضعًا بعينه ، أى استنزل أهل الكذَج ، وهذا على حَذْف المضاف ، وهو شائع فى كلامهم كثير . [خ] أى أبلغْ

---

(١) س ، د : « كل قرن » .
(٢) س ، ظ « أمام الموت » وهى بين السطور فى ك .
(٣) هـ س : « استفتح » .

محمدًا أنّ قومك على حبهم لك وعِزّك فيهم لا يَسرّهم أن تُخلَّد فيهم وأنّ غيرَك كان يَتولّى هذا الفتح .

٧ لمَّا قَرَا النَّاسُ ذاكَ الفَتْحَ قُلْتُ لَهُمْ
وَقَائِعٌ حَدِّثُوا عَنْهَا ولاَ حَرَجَا

[ع] أراد قَرأ الناس ، مِن قراءة الكتاب ، فخفّفَ الهمزة ، ولا يَحسُن أن يُحمَل على غير هذه اللفظة مِن قِرَى الضيف ولا من قَرا الشيءَ إذا تَتبَّعَه . وقوله « وقائع » أى هذه وقائع . [خ] حدّثوا عنها [أى] فكلّ ما قلتم فيه حقٌّ لا حَرَجَ عليكم .

٨ أَضَاءَ سَيْفُكَ لمَّا اجْتُثَّ أَصْلُهُمُ
مَا كانَ مِنْ جَانِبَيْ تِلْكَ البِلادِ دَجَا

أى لما قَتلتَهم وأزلتَ كُفْرهم وأثرَه أنارت البلاد .

٩ مِن بَعْدِ مَا غُودِرَتْ أُسْدُ العَرِينِ بِهِ[1]
يَتْبَعْنَ قَسْرًا رَعَاعَ الفِتْنَةِ الهَمَجَا

« العَرِين » الشجر المُلتفّ ، ويستعار ذلك فيقال عرين الكعبة أى فِناؤها ، كأنّ الحرَمَ لما كان يُهاب ويُتّقى الظلمُ فيه جُعل كعرين الأسد ، وجاء فى الحديث : « يُدفَن فى عَرِين الكعبة رجلٌ عليه رُبْعُ عذابِ هذه الأمة » و « الرَّعاع » من الناس الذين لا خير فيهم ، شُبِّهوا بالرَّعاع وهو صغار البعوض والذباب ، وكذلك الهَمَج . أى تَرَكَ قُوّادَ الكفار وكُبراءَهم أسْرَى أوْ باشِ المسلمين يتبعونهم .

١٠ لاَ تَعْدَمَنَّ بَنُونَبْهانَ قاطِبَةً مَشَاهِدًا لَكَ أَمسَتْ فى العُلَى سُرُجا

(١) س ، و : « بها » .

١١ إنْ كانَ يَأْرَجُ ذِكْرٌ مِنْ بَرَاعَتِهِ
فإنَّ ذِكْرَكَ فى الآفاقِ قَدْ أَرِجَا

١٢ ويَوْمَ أَرْشَقَ والآمالُ مُرْشِقَةٌ
إليْكَ لا تَتَبغَّى عنْكَ مُنْعَرَجَا

١٢ — « أرشق » موضع . و « مُرشِقة » من قولهم أرشقت المرأةُ والظبية إذا أدامتْ النظرَ ومَدَّتْ عُنُقَها[1] . « ومُنعَرَج » مُنعطَف .

١٣ أَرضَعْتَهُمْ خِلْفَ مَكْرُوهٍ فَطَمْتَ بهِ
مَنْ كانَ بالحَرْبِ مِنْهُم قَبْلَه[2] لَهِجَا

استعار « الخِلْفَ » للمكروه وشَفَع ذلك باستعارة الفِطام ، وأخذَ لَهِج من لَهِجَ الفَصِيلُ إذا أُغرِيَ بالرِّضاع ، وأصل اللَّهَج الولوع بالشيء ، يقال فصيل لَهِجٌ ولاهِج . أى فطمتَ بهذا الخِلْف عن الحرب مَن كان منهم لَهِجًا بها .

١٤ لِلّهِ أَيَّامُكَ اللَّاتى أَغرْتَ بهـا
ضَفْرَ الهُدَى وقَدِيماً كانَ قَدْ مَرِجا

استعار « الإغارة » من أغرَتُ الحبلَ إذا أحكمتَ فَتْله ، و « الضَّفْر » فَتْلٌ ليس يَبلُغ فى القوّة المُغارَ ، ويُسمَّى الحبلُ المضفور ضَفْرًا ، سَمَّوْه بالمصدر . و « مَرِجَ » الدِّين إذا اضطرب .

١٥ كانَتْ على الدِّينِ كالسَّاعاتِ مِن قِصَرٍ
وعَدَّها بابَكٌ مِنْ طُولِها حِجَجَا

أى كانت هذه الأيام على الدين قَصِيرةً كالساعات لِما نالَ المسلمون من

(١) قال ابن المستوفى : « مرشقة » هنا من قولهم أرشق إذا أحد النظر ، ولم يوجد فى الرمى « أرشق » بالألف .
(٢) ظ : « قلبه » .

الظَّفَر بالكُفار ، وكانت على بابك كالسنين لما نظم من القتل .

١٦ أَصبَحْتَ تَدْلِفُ بالأَرْضِ الفضَاءِ لَهُ
نَصْباً وأَصْبَحَ فى شِعْبَيْهِ قَدْ لَحِجَا

[ع] « تَدلِفُ » من الدَّليف وهو المشى الرَّوَيْد . و « نَصْبًا » من قولهم نَصَبَ للشىء إذا قَصَد قَصْده [١] . و « لَحِجَ » فى المكان الضيّق إذا نَشِبَ فيه .

١٧ عَادَتْ كتائِبُه لمَّا قَصَدْتَ [٢] لها
ضَحاضِحاً ولَقَدْ كانَتْ تُرَى لُجَجَا

١٨ لمَّا أَبَوْا حُجَجَ القُرآنِ واضِحَةً
كانَتْ سُيوفُكَ فى هَامَاتِهِمْ حُجُجَا

أى لما امتنعوا من الإسلام وقبول القرآن .

١٩ أَقبَلْتَهُ فَخْمَةً [٣] جَأْوَاءَ لَسْتَ تَرَى
فى نَظْمِ فُرْسَانِها أَمْتاً ولا عِوَجَا

« فَخْمَةً » كتيبة كبيرة ، وأصل الفَخامة فى بنى آدم عِظَمُ الجسم وكثرة اللحم ، و « جَأْوَاء » كتيبة يَعلُوها صَدأ الحديد ، يُقال جَأْواءُ بَيِّنة الجُؤْوَة ، وهى غُبرة إلى السواد . و « الأَمْتُ » أن يكون فى الأرض ارتفاع وهبوط ، ويقال ليس فى الخمر أَمْتٌ أى ليس فيها اختلاف أنها مُحرَّمة ، ويقال فى الأرض عِوَجٌ ، وكذلك فى الدِّين ، وما لا يُرَى من الأشياء ، وفى العَصا عَوَج بفتح العين ، وكذلك فى كل المنتَصِبات . وقوله « أَقبَلْتَه » أى استقبلتَه بها ، ويقال أَقبَلْتُه هذا أى إستقبلته به .

---

(١) قال ابن المستوفى : « ونصباً » يجوز أن يكون من قولهم : نصبت لفلان نصباً إذا عاديته .

(٢) د : « لما دلفت له » وهى بين السطور فى ك .

(٣) من ، م ، د ، ك : « وأقبلت فخمة » .

٢٠ إِذَا عَلَا رَهَجٌ جَلَّتْ صَوارِمُها
والذُّبَّلُ الزُّرْقُ[١] مِنها ذلكَ الرَّهَجَا

٢١ بِيضٌ وسُمْرٌ إذا ما غَمْرَةٌ زَخَرَتْ
لِلمَوْتِ خُضْتَ بها الأَرْوَاحَ والمُهَجَا

٢١ — أصل « الغَمْرة » فى الماء الكثير ، ثم استُعملت لكل أمرٍ شديد . و « زَخَرَتْ » ارتفعت .

٢٢ نَزَّالَةٌ نَفْسَ مَنْ لاقَتْ ولا سِيَمَا
إِنْ صَادفَتْ ثُغْرَةً أو صادفَتْ وَدَجَا

ويروى « بنَزَّالة »[٢] أى تُسيل دمَ من لاقَتْ . وعَنَى بـ « النزَّالة » السيوف والرِّماح .

٢٣ رَأْىُ الحُمَيْدَيْنِ أَلقَحَتَ الأُمُورَ بِهِ
مَنْ أَلقَحَ الرَّأْىَ فى يَوْمِ الوَغَى نتَجَا

[ص] يعنى حُميدَ بن قَحْطَبة وحُميداً الطوسىّ ، وكلّهم طائيّون * [خ] أى مَن أحسنَ التدبيرَ فى الحرب نَتَجَ الصواب * واستعار الإلقاح والنتاج للحرب ، وإنما جعله يُنتِجها لأنه يَغنم غِبَّها فيكون كمن نَتَجَ النّاقةَ .

٢٤ لَوْ عَايَنَاكَ لَقَالاَ بَهْجَةً[٣] جَذَلاً :
أَبْرَحْتَ أَيْسَرُ ما فى العِرْقِ أَنْ يَشِجَا

[ع] « البهجة » و « الجَذَلُ » متقاربان ، وهما فى معنى الفرح ، جمع

(١) م ، د : « السمر » وهى بين السطور فى ك .
(٢) هذه رواية الخارزنجى كما فى ظ . وفيها : وفى بعض حواشى نسخة قرأها أبو على « مسلوبة » و« فزاعة » وضرب على « بزالة » .
(٣) د : « فرحة » وهى بين السطور فى ك . — ك : « بهجة وهوى » — وقال الصولى : ويروى « لهجة وهوى » وقال : أى لهجة بك ، وهوى لك .

بينهما اللفظ . و « أبْرَحْتَ » أى جئتَ بالبَرْح وهو العَجَب ، ويُقال لكل مَن جاء بأمر عظيم : قد أبْرَحْتَ . وقوله « أيسرُ ما فى العِرق أن يَشِجا » يحتمل أن يجعله من قول الحُميديّين لهذا الممدوح : أى أنك قد أشبهتنا وزِدْتَ علينا فى النجدة والشجاعة ، ويجوز أن يكون من كلام الطائى ، والأول أشبه . ومعنى قوله : « أيسرُ ما فى العرق أن يَشِجا » أنّ الإنسان إذا كان له قريب فيه خُلُق محمود أو مذموم ، فأيسرُ ما يَناله من ذلك أن يَشِجَ العِرْق أى يتصل ، فيكون فيه شىء مِمَّا فى نسيبه ، وقد يجوز أن يَغلِب عليه الشَّبه فيكون مثلَ ذلك الرجلِ أو فوقَه .

٢٥ أَحَطْتَ بالحَزْمِ حَيْزُوماً أَخَا هِمَمٍ
كَشَّافَ طَخْيَاءَ لا ضَيْقاً ولا حَرَجَا

أى أحاط صَدْرك بالحزم . و « أخا هِمَم » نداءٌ مضاف[1] . و « الطَّخْياءُ » الليلة المظلمة ، وإنما أراد الفِتْنَةَ .

٢٦ فالثغرُ والسَّاكِنُوه لا يَؤُودُهمُ
ما عِشْتَ فيهم أَطارَ الدَّهرُ أَم دَرَجَا[2]

٢٧ سَمَّوْا حُسَامَكَ والهَيْجَاءُ مُضْرَمَةٌ
كَرْبَ العُدَاةِ وسَمَّوْا رأيَكَ الفَرَجَا

٢٧ – « سَمَّوْا » أى ساكنوا الثغر .

(١) قال ابن المستوفى : الصحيح أن « أخاهم » صفة لحيزوم ، وقول أبى زكريا « أى أحاط صدرك بالحزم » ضد ما ذكره أبو تمام ، وإنما أراد أحاط بالحزم الصدر ، أى أحدقه به .

(٢) لم يرد هذا البيت فى أصول التبريزى التى بين يدى ، وجاء فى نسخة ل من شرح الصولى ، وكذلك هو فى س ، د ، ظ ، والغالب أنه سقط من نسخ التبريزى ، بدليل قوله فى شرح البيت له « أى ساكنوا الثغر » .

٢٨ إِنْ يَنْجُ مِنْكَ أَبو نَصْر فعَنْ قَدَرٍ
تَنْجُو الرِّجالُ [١] ولكنْ سَلْهُ كيْفَ نَجَا

« أبو نصر » قيل هو بابك ، وقيل من أصحابه ، أى نجا مسلوبًا .

٢٩ قَدْ حَلَّ فى صَخْرَة صَمَّاءَ [٢] مُعْنِقَةٍ
فَانحِتْ برأْيك فى أَوعَارِهَا دَرَجَا

[ع] « مُعنِقة » مرتفعة ، وأصل ذلك فى طول العُنق . « وانحِتْ » بكسر الحاء أفصح من فتحها ، وقد حُكى الفتح ، وقرأ الحسن البصرى رحمه الله « وتَنحتُون » [٣] . أى اجعل برأيك المصيب إليها سبيلاً .

٣٠ وغَادِه بِسُيُوف طَالَمَا شُهِرَتْ
فَأَخْلَفَتْ مُتْرَفاً ما كان قَبْلُ رَجَا

أى اغدُ عليه . أى أخلفت السيوفُ ما كان يرجوه من قبل . و « المُتْرَف » المنعّم . ويروى « وعاذَة [٤] بسيوف » . [ص] أى يستعيذون مما يخافون بهذه السيوف ، والمرزوقى يَرُدّ هذه الرواية .

٣١ وشُزَّبٍ مُضْمَرَاتٍ طَالَمَا خَرَقَتْ
مِنَ القَتَام الذِى كان الوَغَا نَمَجَا

---

(١) فى ظ : ويروى « ينجو العدو » ، وفيها : وفى نسخة « ينجى الرجال » وهى بين السطور فى ك .

(٢) س ، ل : « شماء » وروتها ظ — وفى ك « تيماء » .

(٣) الآية : « وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين » الآية ١٤٩ من سورة الشعراء .

(٤) هى رواية الصولى . وقال : قال لى أبو مالك : قوله « وعاذة بسيوف » إلى آخر القصيدة شىء لا أعرفه ، ولعله زاده بعدى .

٣٢ ويُوسُفِيِّينَ يَوْمَ الرَّوعِ[١] تَحسِبُهُمْ
هُوجاً ومَا عَرفوا أَفْنًا ولا هَوَجَا

٣٢ – [ع] « ويوسفيِّين » يعنى قَوْمًا من رَهْط هذا الرجل ، وهو محمد بن يوسف . و « الهوَجُ » فى ابن آدم أن يركبَ رأسه فى الأمور بغير أناة ولا رويَّة * ، ويستعمل ذلك فى صفات الإبل والريح . يقول : لشدَّة انثيالهم على الحرب وبَدَارهم إليها تَظنهم هُوجًا ، وذلك يُستحَبّ فى الشّجعان فى تلك الحال ، ثم بيَّن أن ذلك لقوّة قلوبهم وشدّة حرصهم على الحرب ، لا لاضطراب خَلْق ولا قِلة عَقْل .

٣٣ مِنْ كُلِّ قَرْمٍ يَرَى الإِقْدامَ مأْدُبَةً[٢]
إِذَا حَدَا مُعْلِماً بالسَّيْفِ أَوْ وَسَجَا

[ع] « يرى الإقدامَ مأدُبةً » يحتمل أن يكون من المأدُبة التى هى تأديب ، أى يرى إقدامَه من الأدَب الذى ينبغى أن يُستعمل ، ويجوز أن يكون من المأدُبة إلى الطعام فهو يَسيرٌ عليه ، و « الوَخْد » و « الوَسْجُ » ضَرْبان مِن السير ، وأكثر ما يُستعملان فى الإبل والنعام ، وقد يستعاران لغيرهما .

٣٤ تَنْعَى مُحَمدًا الثَّاوِى[٣] رِماحُهُمُ
ويَسْفَحُونَ عَلَيْه عَبْرَةً نَشَجَا

(أبو عبد الله) : ظاهر البيت أنّ رماح هؤلاء اليوسفيين تُخبر بموت محمد ، وهو رجل منهم قُتل فأدركوا بثأره[٤] . ومعناه أنّ رماحهم أدرِكَ بها ثأرُه فانصَبَّت

---

(١) س : « ويوسفين حميديين » بإسقاط ياء النسبة فى « يوسفيين » ، وقال فى ظ إنها رواية الخارزنجى .

(٢) فى أصول التبريزى « مكرمة » ولكن شرح البيت يدل على أن الرواية « مأدبة » . وجاء فى ظ : وفى نسخة أبى على مسكويه « مأربة » بالراء . وروى فى ظ : « مكرمة » وقال : والرواية « مأدبة » .

(٣) فى ظ : قال الصولى : ويروى « الملقى » .

(٤) وقال الصولى : يريد أن أصحاب أبى سعيد أخذوا بثأر محمد بن حميد ، لأن أبا سعيد ومحمداً من طى فهم أهل .

عليها الدّماء وسُمع منها الصَّرِيفُ ، فصار ذلك الصَّرِيفُ منها بمنزلة البُكاء على الميِّت والعويل عليه والإخبار بموته [ص] و « النشيج » أن يَهُمَّ بالبكاء ولا يبكى فيتردَّدَ له صوت(١) .

٣٥ قد كانَ يَعْلَمُ إذْ لاقَى الحِمَامَ ضُحًى
لا طالِباً وَزَرًا منْهُ ولا وَحَجَا

(ع) « وَزَرًا منه ولا وَلَجًا » و « الوَلَج » الموضع الذى يُتَولَّج فيه أى يُدخل [ص] و « الوَحَج » الملجأ وهو الوَجَح فقُلِبَ * . و « طالبًا » حال من المضمر فى « يعلم » .

٣٦ أَنْ سَوْفَ تُهْدِى إلى أَثْآرِهِ بهُماً
يُمْسِي الرَّدَى مُسْرياً فيها ومُدَّلِجَا

[ع] « الأثآر » جمع ثَأر . والمعنى أن هذا المقتول قد علم أنك ستُهدِى إلى القوم الذين قتلوه جيشًا يطلب ثأره(٢) . ويجوز أن يكون « تُهدِى » من الهديَّة ، و « تَهدِى » بفتح التاء من هديتُ القوم إذا تقدّمتهم ، وإذا كان من الهديَّة فهو من باب قولهم عِتابُه الضرب وتحيتُه السيف ، أى قد أقام هذه الكتيبة مقامَ الهديَّة وإن كانت تأتيهم بشرّ ، كما قال عمرو بن معدىكرب .

وخيل قد دَلَفْتُ لها بخيل تحيةُ بَينهمْ ضَرْبٌ وجيعُ

---

(١) فى ظ : قال الخارزنجى : وروى « نشجا » بضم النون والشين ، وقال : هو جمع الناشج وهو الباكى ، وروى « نشجا » بفتحهما . وقال ابن المستوفى : « النشج » واحد الأنشاج وهى مجارى الماء ، فيكون صفة العبرة ، أى عبرة سائلة ، و « نشجا » بضمهما نصب على الحال . وقال : وفى النسخة العجمية « نشجا » جمع نشيج ونشوج وهو البكاء .

(٢) فى ظ من كلام أبى العلا : و « البهم » جمع بهيمة وهو الفارس الذى لا يدرى كيف يؤتى له ، كأنه قد أبهم أمره . والمعنى : أن هذا المقتول علم أنك سوف تهدى إلى القوم الذين قتلوه جيشاً يطلب بثأره . ومثله :

فإن يهلك جوين فإن حرباً كظلك كان بعدك موقدوها
كأنك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها

و « الإدلاج » السير من آخر الليل ، و « المُسْرِى » الذى يَسرِى من أول الليل إلى آخره .

٣٧ لَوْ لَمْ يكُنْ هَكَذا هذا لديْهِ إذًا
ما ماتَ مُسْتَبْشِرًا بالموْتِ مُبْتَهِجَا

أى لو لم يعلم هذا ما أسلم نفسه إلى الموت مع قُدرته على النجاة .

٣٨ لَوْ أَنَّ فِعْلَكَ أَمسَى صُورَةً لثَوَى
بَدْرُ الدُّجَى أَبَدًا مِن حُسْنِها سَمِجَا

وروى المرزوقى : « من نُورِها سَبَجَا » (١) .

(١) فى ظ : وروى الخارزنجى : « لو أن فعلك أمسى صورة ليرى » .